واسألوا الآنسة مارى قدسى معلمة الموسيقى بوزارة المعارف تحدثكم عن خبر الرافعى يوم جلس إليها وهى تعالج تلحين نشيده « بنت النيل » ويوم جلست إليه تعزف له على البيانة لحنها لنشيد « اسلمى يا مصر » وهو يسمعها بعينيه تتبعان أصابعها على المعزف وهو ينقر على الأرض بعصاه ورجليه، وينفخ شدقيه وفى أذنيه وقر ثقيل ... !

هذه النغمة التى كانت تتمثل للرافعى فى سمعه الباطن وهو يعالج نشيداً من الأناشيد ، كان لها أثرها الفني فى عمله ، وهى هى التي كانت تشعره أحياناً بالعجز عن أن يجد فى موازين الشعر العربى النغمة التى كان يريدها في أناشيده كطبل الحرب ؛ فلما هم أن يضع نشيد الطلبة :

مَجْدًا مَجْدًا مَدْرَسَتى مدرستى مَجْدًا مَجْدًا
عن علمى عن تربيتى مدرستى مَجْداً مجـــداً

لم يجد له نغمة تلائمه فيما يعرف من بحور الشعر ، فاخترع له هذا الميزان الذى يزنه به قارئه ، وسماه : « طبل الحرب » ولكن صاحب القطر أشار عليه أن يسميه : « البحر المنفجر » وتفعيلاته « فَعْلٌ ، فَعْلٌ ، فُو » مكررة فى كل شطر ، مع بعض علل فى الميزان يمكن إدراكها بالموازنة بين الشعر وتفعيلاته

* * *

هذا هو الرافعي شاعر الأناشيد ، وهذا جهده وما بلغ ؛ وقد كان على نية إصدار ديوان من شعره سماه : « أغانى الشعب » جمع فيه ما أنشأ من الأناشيد الوطنية ، وأغانى الجماعات والطوائف لولا أن عاجلته المنية . فلو أن أدباء العربية ذكروا يوماً أن عليهم واجباً لإمام من أئمة الأدب العربى كان يعيش فى هذا العصر فاجتمعوا على العناية بآثاره وإتمام رسالته الأدبية ، لأخرجوا لقراء العربية ذخراً من الأدب العربى والبيان الرفيع لا يقدر على إنشاء مثله جيل كامل من مثل أدباء هذا الزمان ... !

ورحم الله جماعة تألفت منذ بضعة أشهر لتأبين الرافعى فى شهر اكتوبر ، وأوشك شهر اكتوبر أن ينتهي وما استطاعت الجماعة أن تثبت أن فيها حياة ... !

يرحمك الله يا مصطفى ، وفى ذمة الله ما جاهدت لهذه الأمة التى لا تعرف الجميل !

« شبرا » محمد سعيد العريان

الكميت بن زيد

شاعر العصر المروانى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

تمهيد

فى الأدب اجتهاد لم يغلق بابه كما أغلق فى الفقه وغيره من علومنا الشرعية ، وقد كان لامتياز الأدب بهذا على غيره من العلوم أثر كبير فى ازدهاره فى هذا العصر ، وفى وصوله إلى ما لم يصل إليه فى عصر من العصور السابقة ، وهو فى هذه النهضة المباركة شغل الطالب فى معهده ، والتلميذ فى مدرسته ، بل شغل الناس جميعاً على اختلاف أنواعهم ومذاهبهم . ولو أن غير الأدب من العلوم كان له حظه من فتح باب الاجتهاد لم يصر إلى هذا الجمود الذى صرف الناس عنه ، وجعلهم يكرهون النظر فيه ، ويخشون ما يصيبهم من العنت إذا خرجوا عن مألوفه

وللنفس حاجات فى هذا الاجتهاد المغلق تجعلها تحن إليه الفينة بعد الفينة ، فإذا خشيت العنت أو أصابها فيه شىء من العنت عدلت عنه إلى غيره حباً فى السلامة ، أو يأساً من حال الناس فى هذه الناحية ؛ ولا تجد مثل الأدب فى رحابة صدره للاجتهاد ، وعدم ضيق أهله بأثر الاجتهاد فيه ، فتلج بابه ، وتسلى عنها به ما يصيبها من أذى الناس وجحودهم لفضل المخلصين العاملين فيهم

وهأنذا الآن بصدد الكتابة عن الكميت بن زيد الأسدى ، وبصدد التنويه بالفتح الجديد الذى فتحه فى الأدب العربى بهاشمياته ، لأرفعه بها إلى درجة الزعامة على شعراء عصره «عصر بنى مروان» ولأبعد جريرا والفرزدق والأخطل عن هذه الدرجة التى اتفق الناس على منحها لهم ، ولا علىّ من مخالفة الناس فيما ذهبوا إليه فى زعامة الشعراء فى هذا العصر ، فليس فى الأدب كفر ولا إلحاد ولا غيرهما مما يرمى به الباحثون جزافاً فى هذه الأيام

ونحن إذا بحثنا فى هذه الزعامة الشعرية التى عرفها الناس لجرير والفرزدق والأخطل نجد أن ملوك بنى مروان هم الذين روجوا لهذه الزعامة ، وهم الذين شغلوا الناس بهؤلاء الشعراء

عن الكميت وغيره ممن يخالف سياستهم ، ويناوىء بشعره ملكهم ، ويناصر به غيرهم من منافسيهم ، وقد مضى عهد بني مروان ومضت بعده عهود وعهود ، وكان لحب التقليد الذي مني به الاسلام والمسلمون أثره في بقاء الناس على هذه الزعامة الشعرية

وإنما روج ملوك بني مروان لجرير والفرزدق والأخطل لأنهم وجدوا في شعرهم انحرافاً عن الجادة التي يجب أن يكون الشعر عليها ، ووجدوا فيه ما يخدم مآربهم في حكم الأمة الإسلامية حكماً مطلقاً لايقيدهم فيه قانون سماوي أو وضعي ، وفي الاستئثار لأنفسهم وأنصارهم بأموال هذه الأمة وخيراتها ، يصرفونها في اقتناء القيان ، وشراء الجوار الحسان ، وإشباع شهواتهم في هذه الحياة ، والقضاء على روح المقاومة للظلم في الأمة حتى تخضع لهم ، وتستكين لحكمهم ؛ ولا نستثني منهم في ذلك إلا الملك الصالح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فقد سار في حكمه القصير على خلاف سيرتهم ، وأشاح بوجهه عن أولئك الشعراء الذين كانوا يروجون لهم

ولم يكن مثل جرير والفرزدق والأخطل في ذلك إلا كمثل من يعيش منا الآن بعقول القرون الماضية ، ولا يتأثر عقله بشيء من العصر الذي يعيش فيه ، فهكذا كان أولئك الشعراء يعيشون بعد الإسلام بعقول الشعراء الذين لم يدركوا عهده ، ولم تعمل في نفوسهم رسالته ، ولم تؤثر في قلوبهم هدايته ، ولم يهذبهم تقويمه وإصلاحه ، فاستعملوا شعرهم في خدمة أغراضهم وقضاء مآربهم ، وتملقوا به ملوك بني مروان طمعاً في أموالهم ودنياهم ، ولم ينظروا فيه إلى الأمة وما تطلبه من الشعر الذي يوقظها من غفلتها ، وينهض بها من كبوتها ، ويحارب عوامل الفناء التي تعمل عملها فيها ، بل ساعدوا خصومها عليها ، وعملوا بشعرهم على تفريق كلمتها ، والرجوع بها إلى حالة الجاهلية ، فكان شعراً رجعياً جامداً بغيضاً ، لاتسري فيه روح الحياة ، ولا يصح أن يكون صاحبه بزعيماً في الشعراء

فإذا نظرت في شعر الكميت بن زيد وجدته يمثل لك عصر بني مروان تمثيلاً صادقاً ، لا أثر فيه للخداع والغش ، ولا يشوبه الحرص الممقوت على الصلات والجوائز ، وخيل إليك أنك تعيش في عصر بني مروان مع الذين عاشوا فيه ، وأن ظلمهم وإفسادهم حاق بك كما حاق بهم ، فأخذ قلبك يضطرب بالحقد عليهم ، وأخذت نفسك تضطرم بالثورة على ملكهم ، وتنشد ملكاً آخر يسود فيه العدل ، وينتصر الحق على الباطل ، وتنهض به الأمة ، وينتظم لها أمر دينها ودنياها

فهو شعر حي ناهض يدعو إلى الحياة والنهوض ؛ أما شعر جرير والفرزدق والأخطل فهو شعر ميت جامد يدعو إلى الموت والجمود ، ولم يكن الخضوع لزعامة هذا الشعر إلا أثراً من آثار الروح الشيطانية المستولية على النفوس منذ فقد في المسلمين الحكم الصالح ، وأخذوا يعيشون عيشة أئمة جاهلية ، يضيع فيها الحق ، وينتصر عليه الباطل ، وتنشر فيها أعلام الشر ، وتطوى أعلام الخير ، فأظلمت العقول ، والتبست عليها الأمور ، فصارت ترى الباطل حقاً ، والشر خيراً ، والاثم طاعة وبراً ، وجمدت على هذا بطول الزمن حتى صارت حالها تدعو إلى اليأس في إصلاحها ، وإزالة هذه النشاوة عنها

على أني فيما أراه من زعامة الكميت على شعراء عصره أذهب في هذا مذهب بعض العلماء والشعراء كانوا يتعصبون له ويقدمونه في الشعر على غيره من الشعراء جميعاً . قال أبو الفرج الأصبهاني : أخبرني محمد بن القاسم الأنباري ، قال حدثني أبي ، قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي ، قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي ، قال حدثنا أحمد بن أنس السلامي الأسدي ، قال سئل معاذ الهراء : من أشعر الناس ؟ قال : أمن الجاهليين أم من الإسلاميين ؟ قالوا : بل من الجاهليين ، قال : امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص . قالوا : فمن الإسلاميين ؟ قال : الفرزدق وجرير والأخطل والراعي . قال فقيل له : يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت ؟ قال : ذاك أشعر الأولين والآخرين

وقال أبو الفرج أيضاً : أخبرني الحسن بن علي الخفاف ، قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي ، قال حدثني احمد بن بكير ، قال حدثني محمد بن أنس الأسدي السلامي ، قال حدثني محمد بن سهل راوية الكميت قال : جاء الكميت إلى الفرزدق لما قدم الكوفة فقال له : إني قد قلت شيئاً فاسمعه مني يا أبا فراس ، قال: هاته ، فأنشده قوله :

طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ
ولا لعِباً مني وذو الشوق يلعبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والتُّقَى
وخير بني حوّاءَ والخير يُطلَبُ

فقال له: قد طربت إلى شيء ما طرب إليه أحد قبلك، فأما نحن فما نطرب ولا طرب من كان قبلنا إلا ماتركت أنت الطرب إليه

وفي رواية أخرى عن محمد بن علي النوفلي، قال سمعت أبي يقول: لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ماقال الهاشميات فسترها ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي، قال له: صدقت، أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نفث على لساني فقلت شعراً فأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنت أولى من ستره علي. فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ماقلت، فأنشده:

طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ

قال فقال لي: فيم تطرب يا ابن أخي؟ فقال:

ولا لعباً مني وذو الشوق يلعب

فقال: بلى يا ابن أخي فالعب فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يُلهني دارٌ ولا رسم منزل ولم يتطرّبني بنانٌ مُخضَّبُ

فقال: ما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أغضب

فقال: أجل لا تتطير، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى وخير بني حوّاءَ والخير يطلبُ

فقال: ومن هؤلاء ويحك؟ فقال:

إلى النَّفر البيض الذين بحبِّهم إلى الله فيما نابني أتقرَّبُ

قال: أرحني ويحك من هؤلاء؟ قال:

بني هاشم رهط النبيِّ فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ
خفضتُ لهم مني جناحي مودَّةً إلى كَنَفٍ عطفاه أهل ومرحبُ
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا حُبّاً على أني أذمُّ وأغضبُ
وأُرمَى وأُرمِي بالعداوة أهلَها وإني لأُوذَى فيهمُ وأُؤنَّبُ

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي أذع ثم أذع، فأنت والله أشعر من مضى، وأشعر من بقي

وهذه الهاشميات من الدرر اللوامع في سماء الشعر العربي، وبها يسمو شعر الكميت على غيره من الشعر، وقد أجاد فيها في مدح بني هاشم والدعاية لهم، وتصوير حكم بني مروان تصويراً شنيعاً ينفر الناس منه، ويدعوهم إلى الثورة عليه، حتى هيأ النفوس إلى تلك الثورة التي قام بها بعده أبو مسلم الخراساني، فقضى على حكم المروانيين، وأقام بعده حكم العباسيين الهاشميين

ولا شك أن الشعر الذي يبلغ به صاحبه هذه المنزلة العالية ويستطيع به أن يقيم دولة ويقعد دولة، هو الشعر الذي يستحق به صاحبه الزعامة على شعراء عصره، لا ذلك الشعر الذي لا يعد وأمره أن يكون ألفاظاً جوفاء لا طائل تحتها، ولا ثمرة في هذه الحياة لها

وقد شهد الفرزدق شهادة أخرى لهذه القصائد، فقيل له: أحسن الكميت في مدائحه في تلك الهاشميات، فقال: وجد آجراً وجصاً فبنى

عبد المتعال الصعيدي

(١) خالتي وقصص أخرى
(٢) وكيل البريد وقصص أخرى
مجموعتان من أقاصيص رابندرانات طاغور
ترجمة عبد اللطيف النشار
(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى
(٤) نار موسى وقصائد أخرى
ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار
(٥) الاسكندر
رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير
ترجمة عبد اللطيف النشار
ثمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه:
١٨ شارع الإبيادية بمحرم بك بالإسكندرية